مكونات الوصف اللساني (1)

Composants de la description linguistique

Composants de la description linguistique

تر: عمر لحسن

زبيدة حنون

جامعة باجي مختار- عنابة

الملخص:

ما هي المهام الأساسية التي يجب القيام بها، إذا أردنا وصف لغة ما، في وقت معين من تاريخها؟ إن الدراسات اللغوية التقليدية في أوروبا توزع العمل إلى ثلاثة أبواب، وتميز - انطلاقا مما هو أبعد من المعنى إلى ما هو أقرب - بين ما يلي:

- وسائل التعبير المادية (النطق والكتابة).

- التركيب.

– المعجم.

الكلمات المفتاحية:.اللغة، الكلام، الوصف، اللسانيات.

Abstract:

What are the basic tasks that must be accomplished, if one wants to describe a language, at

1 - هذا المقال مأخوذ من كتاب بعنوان :

T. Todorov et O. Ducrot, Le dictionnaire encyclopédique des sciences du langage, ed du Seuil, Paris 1972, pp. 71-78.

a particular moment in its history? Traditional linguistic studies in Europe divide the work into three chapters, and distinguish - from what is beyond meaning to what is nearer - between the following:

Physical means of expression (speech and writing).

-syntax.

- lexicon.

Key words: Language, discourse, description, linguistics.

Résumé:

Quelles sont les tâches de base qui doivent être accomplies, si l'on veut décrire une langue, à un moment particulier de son histoire ? Les études linguistiques traditionnelles en Europe divisent l'ouvrage en trois chapitres, et distinguent - de ce qui est au-delà du sens à ce qui est plus proche - entre ce qui suit :

Moyens physiques d'expression (parole et écriture).

-syntaxe.

- lexique.

Mots clés : Langage, discours, description, linguistique.

مقدمة

ما هي المهام الأساسية التي يجب القيام بها، إذا أردنا وصف لغة ما، في وقت معين من تاريخها؟ إن الدراسات اللغوية التقليدية في أوروبا توزع العمل إلى ثلاثة أبواب، وتميز - انطلاقا مما هو أبعد من المعنى إلى ما هو أقرب - بين ما يلي:

1 - وسائل التعبير المادية (النطق والكتابة).

2 - التركيب ، وينقسم إلى قسمين:

أ - الصرف، ويدرس الكلمات بعيدا عن علاقتها بغيرها من الكلمات في الجملة. فيتم توزيعها، من جهة، إلى أقسام مختلفة تسمى "أقسام الكلام" (الاسم والفعل ...الخ). كما نقوم، من جهة أخرى، بتعيين التغيرات التي يمكن أن تحدث للكلمة، بإعطاء القوانين الخاصة بتكوين الجنس والعدد، والقوانين الخاصة بالإعراب وبالصرف.

ب - النحو، في دراسته للعلاقات الناشئة بين الكلمات في الجملة، حيث يتعلق الأمر بترتيب الكلمات، وبظاهرة التعدي - أي الطريقة التي تفرض بها بعض الكلمات تغيرات على كلمات أخرى، في الإعراب والعدد والجنس - كما يتعلق، منذ القرن الثامن عشر، بالوظائف الأساسية التي يمكن أن تؤديها الكلمات في الجملة.

3 - المعجم، ويشير إلى معاني الكلمات. فهو بهذا يمثل - بصفة خاصة- الجانب الدلالي للعملية الوصفية (كما يقدم المعجم (dictionnaire) كذلك، ولغرض التسهيل، معلومات عن التغيرات الصرفية التي تطرأ على كل كلمة).

إن تطور الذي عرفته اللسانيات في القرن العشرين، أفضى إلى توجيه عدة انتقادات إلى هذا التقسيم، بدت، أحيانا، متناقضة فيما بينها:

أ - إن هذا التقسيم مبني على مفهوم "الكلمة"، مع أن هذا الكلمة أصبحت لا تعدّ الوحدة الأساسة الدالة.

ب - إنه يضع القيود التي تفرضها اللغة على المتكلم في مستوى واحد مع الاختيارات التي تقترحها عليه.

وهكذا، فإن ظاهرة التعدي - التي تعتبر خضوعا محضا، (إذ يجب أن نجعل الفعل يطابق فاعله) - تتعايش في النحو مع جملة الوظائف، التي تمثل، على العكس، لائحة من الإمكانيات. لم يكن هذا التعايش مستهجنا، في الوقت الذي كان الدور الأساسي للغة فيه، "تَمَثُّل" الفكر. لقد أعطت مدرسة بور روايال - مثلا - وهمبولت بعدها، مكانة بارزة لظاهرة التعدي، ذلك أنهم يعتبرون تأثير كلمة في أخرى صورة حساسة لارتباط التصورات بعضها ببعض في الذهن. وإذا كان "التواصل" هو الوظيفة الأولى للكلام، فإنه يصعب إعطاء مكانة واحدة لظاهرة كالتعدي، الذي - برغم كونه ضروريا - لا يمكن استعماله لإعطاء معلومات للمستمع، وكما يصعب إعطاء هذه المكانة لنظام من الاختيارات يسمح للمتكلم بالإدلاء بمقاصده.

ج - إن جعل الدلالة مُرَكَّزة في المعجم واقتصارها عليه يجعلنا نعتقد أن الوصف الدلالي يقتصر على تمييز الوحدات الدالة المستعملة في اللغة، الواحدة تلو الأخرى. بينما كانت دراسة العلاقات بين الوحدات من أكثر تعاليم دو سوسير اعتراضا . ففي تحديد العلاقات الاستبدالية (paradigmatiques)، يهتم علم الدلالة الحالي بأصناف الكلمات أو الوحدات الصرفية التي تعود إلى مجال واحد (الحقول الدلالية) أكثر من اهتمامه بالكلمات أو الوحدات الصرفية نفسها. وكذا الأمر في مجال العلاقات التوزيعية (syntagmatiques)، حيث يطرح مشكل (يبدو اليوم أساسيا)، وهو تحديد كيفية تفاعل دلالات الوحدات لتكوّن معنى الجملة العام. وهو أمر لا يتحقق بإضافة دلالات الوحدات إلى بعضها بعض، أي بعملية جمع بسيطة.

إن الامتياز الذي أُعطي للكلمات في هذا التصور التقليدي مرفوض من وجهة النظر المنظومية (glossématique)، وذلك لسببين: أولهما أن وحدات اللغة الجوهرية هي إما وحدات المحتوى (وحدات دالة plérèmes)،

أو وحدات التعبير (وحدات معبرة cémèmes)، وتحدد كل وحدة دالة اعتمادا على علاقاتها مع باقي الوحدات، كما تحدد كل وحدة معبرة اعتمادا على علاقاتها بباقي الوحدات المعبرة. بينما لا تحدد الكلمات إلا باعتماد الاتحاد بين عناصر تنتمي إلى مستويات متميزة. هذا الترابط بين الدال والمدلول لا ينتج إلا وحدات طارئة لا ترجع إلى اللغة نفسها، ولكن إلى ظروف استعمالها. إذ لا شيء يضمن، مثلا، أن مدلولات الكلمات تكوّن الوحدات الأساسية للمحتوى، ولا حتى وحداته المركبة: فمن الممكن ألا يلتقي الوصف الأصيل للمحتوى اللساني، في أي وقت، بالمدلولات المعجمية. ثانيهما، أن تحديد الكلمة لا يكون إلا بطريقة "أساسية": فهو مكون من تصور ومن سلسلة صوتية. غير أن الوصف اللساني شكلي، قبل كل شيء، ولا يميز الوحدات إلا بتفاعلها الممكن في اللغة. ويجب أن ينقسم هذا الوصف، تطبيقا لهذه المبادئ، إلى شقين. في البداية، نميز بين مكونين أساسين مستقلين عن بعضهما البعض، يخصّص أحدهما للمحتوى وثانيهما للتعبير. ثم يتفرع كل واحد منهما إلى جزأين: أولا دراسة للعلاقات الشكلية القائمة بين الوحدات، وثانيا دراسة الإنجازات الحقيقية لهذه الوحدات، وتكون هذه الدراسة خاضعة للأولى. ويمكن أن نلحق بهذه الدراسة، وصفا عمليا محضا للعلاقات بين المستويين، أي ما يتكون منه، تقليديا، المعجم وعلم الصرف.

وإذا كان مارتيني لا يقبل التقسيم التقليدي، فلأنه يعطي أهمية أساسية لمفهوم "الاختيار" الذي يتحكم في نظرية التمفصل المزدوج. ذلك أن وصف لغة ما يعني وصف مجموع الاختيارات التي يمكن أن يقوم بها المتكلم، ويمكن أن يتعرف عليها المتلقي . وهناك نوعان من الاختيارات:

أ ـ تملك اختيارات التمفصل الأول قيمة دلالية، أي إنها تخص الوحدات الدالة (مثلا في جملة "جاء زيد"، اخترنا "زيدا" عوض "عمرو" أو "الرجل" . فإذا قلنا بأن هذه الاختيارات تكون تمفصلا، فمعنى هذا أننا وضعنا فرضية مزدوجة؛ حيث نفترض من جهة، وجود اختيارات دنيا (اختيار وحدات دالة وتسمى الوحدات اللفظية monèmes)، ومن جهة ثانية، نستطيع فهم الاختيارات الأوسع، انطلاقا من اختيار الوحدات اللفظية (وضعنا الفرضية

القوية التي مفادها أن الفرق بين "جاء زيد" و"جاء عمرو" يفسر من خلال الفرق بين "زيد" و"عمرو".).

ب - وتتمثل اختيارات التمفصل الثاني في الوحدات التمييزية فقط (الوحدات الصوتية phonèmes) ، وهي لا تملك إلا وظيفة تمييز الوحدات اللفظية: وهكذا، فإن اختيار الوحدة الصوتية "م" في كلمة "أم"، لا يقصد منه - بطريقة مباشرة - معنىً معينٌ، إذا كان وجوده ضروريا في الكلمة تميزه عن كلمة أب مثلا. ويفترض مارتيني هنا وجود تمفصل، أي وجود اختيارات دنيا (اختيار وحدات صوتية مثل "م") تكون هي أساس اختيار لقطع عليا.

وهكذا، يكون للوصف اللساني مكوِّنان أساسيان:

الأول علم وظائف الأصوات، الذي يدرس التمفصل الثاني، بوضع قائمة الوحدات الصوتية، وتحديد سماتها الملائمة ، وترتيبها على أساس هذه السمات، وتوضيح القواعد التي تسير تفاعلها.

الثاني علم التركيب، الذي يخص التمفصل الأول، ويضع قائمة الوحدات اللفظية، ويعين الوظائف التي يمكن أن تقوم بها كل وحدة في الملفوظ ، ويرتبها إلى أقسام لفظية ذات وظائف مماثلة. وترتبط بهذين المكونين اللذين يصفان الاختيارات التي تمنحها اللغة، دراستان ضروريتان، ولكنهما مهمشتان نظريا، تبينان الشروط التي تفرضها اللغة من أجل ظهور هذه الاختيارات. فالدراسة الصوتية تحدد السمات غير الملائمة التي تلازم السمات الملائمة للوحدات الصوتية، بينما تبين الدراسة الصرفية كيفية تحقق الوحدات اللفظية من الناحية الوظيفية الصوتية، حسب السياقات التي تظهر فيها. وهنا نجد، في وقت واحد، جزءا من الصرف التقليدي، وشطرا من النحو التقليدي، وهو المخصص لظاهرة التعدي : فإذا قلنا بأن الأداة تتطابق مع الاسم من حيث العدد، وكذلك الفعل مع فاعله، فهذا يعني أن الوحدة اللفظية المعبرة عن الجمع، الموجودة في جملة Les chevaux boivent (الجياد تشرب)، تتحقق في سلسلة متقطعة من ثلاث علامات: علامة الجمع (es) في أداة التعريف (les) وعلامة الجمع في الفعل (vent) وعلامة الجمع في الاسم (aux).

إن الرغبة في التفرقة بين الاختيارات اللسانية والضرورات التي تفرضها اللغة، التي جعلت مارتيني يعترض على التقاليد النحوية، هي التي كانت سببا في التطور الداخلي للمدرسة التوليدية. ذلك أن نحو لغة ما، بالنسبة إلى تشومسكي، هو مجمل وصفها. ويشتمل على ثلاثة مكونات رئيسية: التركيب (وهو الجزء التوليدي من النحو، أي "النحو التوليدي" بالمعنى الدقيق للكلمة) المكلف بتوليد كل سلسلة من الوحدات الصرفية - حسب ميكانيزمات شكلية محضة - والتي تعتبر، دون غيرها، صحيحة نحويا (يملك النحو نفسه مكونين هما القاعدة التي تعطي البنى العميقة للجمل، والتحويلات التي تعطي البنى السطحية). ففي المتتاليات (Suites) التي أنتجها التركيب، توضع الوحدات الصرفية الواحدة بجانب الأخرى . أما ظواهر التعدي، فلا تؤخذ بعين الاعتبار (فجملة "الرجال يحضرون" سيعبر عنها بالطريقة التالية "رجل + جمع" "حاضر" قَدِمَ). وأخيرا، فإن تمثيل الوحدات الصرفية يتم بصفة اصطلاحية محضة، ولا يمكن أن يشكل تمثيلا صوتيا. ويجب أن تعالج هذه المتتاليات، بعد أن يتم توليدها من قبل التركيب، اعتمادا على مكونين لا يملكان سلطة توليدية، بل تأويليا : المكون الدلالي الذي يعبر عن هذه المتتاليات بطريقة خاصة بالدلالة، قصد إعطاء هذه الجمل معنى، والمكون الصوتي الوظيفي الذي يعبر عنها بطريقة خاصة بعلم الأصوات، قصد تحديد نطقها الصحيح . فالمكون الصوتي الوظيفي، حسب تشومسكي، مكلف بالمهمة التي كلف بها مارتيني علم الأصوات وعلم وظائف الأصوات وعلم الصرف ، دون أن تصنف هذه العلوم فروعا للمكون الصوتي الوظيفي . وهو السبب الذي يؤدي إلى تسمية هذا المكون ، أحيانا ، المكون الصوتي - الصرفي (morpho- phonologique) .

ملاحظة :

لقد كان تروبتسكوى يطلق اسم الصرفي - الصوتي على جزء من الوصف اللساني المكلف بدراسة كيفية استعمال الأصوات (أو بصفة أدق "الوحدات الصوتية") في التعبير عن المفاهيم أو الأبواب النحوية. فيمكن أن يدرس مثلا ظاهرة التناوب، أي التغيرات التي يمكن أن يسبّبها هذا التعبير - وبخاصة في اللغات الهندية الأوروبية - في الجذر نفسه: فمن أجل أن نكوّن من

الاسم الألماني Tag ("يوم") الصفة (Täglich) ("يومي")، فإننا نغير صوت a في الكلمة الأولى ليصبح ä في الكلمة الثانية (ينطق في اللغة الفرنسية é) .

إن عدم التمييز، الذي يؤدي إلى إنكار فكرة نظام صوتي وظيفي محض للكلام (بالمفهوم التقليدي لعمل وظائف الأصوات) يستند، أساسا إلى حجج الاقتصاد: فإذا أردنا أن نبيّن التمثيل الصوتي لجملة ما، اعتمادا على تصويرها بوصفها سلسلة من الوحدات الصرفية، فإنه من التعقيد غير المجدي أن نعتمد، خلال هذه العملية، على تصوير صوتي وظيفي لا يهتم إلا بالسمات المميزة وحدها. ومن الممكن أن نشكل قواعد أبسط وأعم، عند استنتاجنا - مباشرة - سلسلة أصوات الكلمة انطلاقا من انتظامها إلى وحدات صرفية، أفضل من بناء سلسلة الوحدات الصوتية التي تبرز تلك الكلمة، ثم تحديد أصواتها الفيزيائية انطلاقا من تلك الوحدات الصوتية، وكل هذا بسبب ظاهرة التقاطع الترابط (Juncture)، التي تعني التغيرات الصوتية التي تتم بوصل وحدتين صرفيتين داخل الكلمة.

وإذا اعتبرنا أن نحو لغة ما هو فرضية خاصة بطريقة إنتاج المتكلمين للجمل (رفض تشومسكي هذه الفرضية، لكنها تظهر، باستمرار، في أعمال أتباعه)، فإن جمع علم الأصوات وعلم وظائف الأصوات وعلم الصرف في كتلة واحدة مقابلة لعلم التركيب، يمكن أن يكون له تبريرٌ ثانيا، وهو أن إنتاج الجملة في النحو يمثل سلسلة من الاختيارات قام بها المتكلم. أما المكون الصرفي - الصوتي، فإنه يمثل الإجراء الآلي الذي تحول بوساطته هذه الاختيارات إلى سلسلة صوتية. يمكن أن نتكلم، حسب مارتيني، عن اختيار للوحدات الصوتية، ولكننا في هذه الحال، نضع أنفسنا في مكان المستمع الذي لا يفهم ما يقصده المتكلم إلا عن طريق الوحدات الصوتية التي تظهر متتالية، ولا يمكن له أن يتوقعها. أما المتكلم فلا يختار الوحدات الصوتية، بل تفرض عليه عندما يختار الوحدات اللفظية. ولكن عندما ننطلق من هذا التأويل (Interprétation) للنحو التوليدي، نكون مضطرين إلى إعادة النظر في نظام تشومسكي. ذلك أن التوليديين، منذ 1965، يعملون بفرضية مفادها أن الجزء التحويلي من التركيب ليس له أثر في التفسير الدلالي المحض للجمل.

وهـذا أدى إلــى إلغــاء التحــويلات التــي كانــت تعتبــر مــن قبــل "اختياريــة optionnelles" (كـالنفي والاسـتفهام). ويمكـن لهـم أن يتقبلـوا، تجـوّزا، بـأن التحـويلات قـد تحـدد الفـروق الأسـلوبية الدقيقـة (كـإبراز مظهـر مـا مـن الفكـرة المعبر عنها). فإذا حذفنا من مجموع التحويلات وظيفة التمييز الدلالي، أمكن اعتبارها نوعا من الآلات تُحَوِّل البنى العميقة إلى بنى سطحية بطريقة آلية. وفي هذه الحال، يبدو من المعقول إمكانية تقريبها من الميكانيزمات الصرفية - الصوتية (وهو ما يقترحه واينريتش Weinreich) ، وبما أنه من المفروض أن يكون لكل بناء نحوي موجود في البنية العميقة تفسير دلالي ممكن، يقابل كل بناء منها - مثلا - نوع من التفاعلات الدلالية، ويتم اختيارها وفق التأويلات الدلالية، فإننا نستطيع الجمع بين القاعدة النحوية والمكوّن الدلالي. وبهذا نصل إلى فكرة علم الدلالة التوليدي التي تبناها كل من روس (J.R.Ross) ولاكوف (G.Lakoff).

إن المكون التوليدي يمكن أن ينتج كل الأبنية الدلالية الممكنة، حسب إجراء مماثل للنحو العميق في الاتجاه التشومسكيّ التقليدي؛ ثم بعد ذلك، تعطيها التحويلات والقوانين الصوتية الصرفية غطاءً صوتيا. وبهذا، يمكن أن نتصور أن المكون الأول عالمي، وأن تتميز اللغات انطلاقا من الثاني فقط.